مختارات من الخطب المنبرية الرمضانية

العشر الأواخر

لمعالي الشيخ العلامة

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

العشر الأواخر(١)

الحمد لله ذي الفضل والإنعام مازال يوالي على عباده في هذا الشَّهر المبارك فضائل الصِّيام والقيام، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السَّلام، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله أفضل من صلَّى وصام، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، وتأملوا في أيامكم وسرعة انقضاءها، فإنَّه مؤذنة بانقضاء أعمالكم استهل عليكم هذا الشَّهر المبارك بخيراته وبركاته بعشره الأوَّل، وعشره الثَّاني، وأنتم الآن في العشر الأواخر منه، فاغتنموا بقيَّته للأعمال الصَّالحة واختمه بخير، فإنَّه شاهدٌ لنا عند الله سبحانه وتعالى، أو شاهدٌ علينا بما أودعناه من الخير والشَّر.

عباد الله، إنَّكم الآن في العشر الأواخر الَّتي هي أفضل أيام الشَّهر، كان النَّبِيُّ ﷺ يخصّها بخصائص دون بقيَّة أيام الشَّهر لعلمه بفضلها وشرفها ولتقدوا به في ذلك، فمن فضائل هذه العشر أنَّها ختام الشَّهر، والأعمال بالخواتيم، فمن كان محسنًا في ما مضى فليحسن في هذه الأيام؛ لتكون خير ختام، ومن كان مفرطًا أو مسيئًا، فعليه بالتَّوبة قبل الفوات، حاسبوا أنفسكم على ما فرطتم في جنب الله.

ومن فضائل هذه العشر المباركة: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها من ليالي الشَّهر كان ﷺ في أوَّل الشَّهر يصلِّي وينام من اللَّيل، فإذا دخلت هذه العشر المباركة شمَّر وشدَّ المئزر، وأيقظ أهله وأحيى ليله، وذلك بطول التَّهجد والقيام، وكان السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين وأتباعهم يقتدون به في ذلك فكانوا يخصوا هذه العشر بزيادة في قيام اللَّيل كانوا يقومون أوَّل اللَّيل بالتَّراويح، ثُمَّ يقومون آخره بالتَّهجد، ويختمون تهجدهم بالوتر، وكانوا يطيلون الصَّلاة يطيلون القيام والركوع والسجود اقتداءً بنبيِّهم ﷺ فليكن لنا بهم أسوة، ولنسر على آثارهم لعلنا أن نلحق بهم.

فهذه العشر هي ليالي التَّهجد، وطول القيام وإحياء اللَّيل، وليس بشرط أن الإنسان يحيي اللَّيل كلَّه فلا ينام؛ بل يصلِّي أوَّل اللَّيل بالتَّراويح، ثُمَّ ينام ويأخذ راحته، ثُمَّ يقوم في آخر اللَّيل مع المسلمين في

(١) مصدرها موقع الشَّيخ د. صالح الفوزان قسم الخطب.

المساجد ليحظى بفضل قيام هذه اللَّيالي المباركة، ولا ينساق مع شهواته وغفلاته ولا يقتدي بالكسالى والمضيِّعين، وإنَّما يقتدي بأهل الخير والصلاح والاستقامة؛ لأنَّه بحاجة إلى ذلك وما يضيعه من أيامه، فإنَّه ضياع في موازين حسناته: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨ – ٩].

ومن فضائل هذه الأيام العشر الأواخر: أنَّها هي اللَّيالي الَّتي تُرجى فيها ليلة القدر أكثر من غيرها، وإن كانت ليلة القدر محتملة في كل ليلة من ليالي رمضان؛ ولكنها في هذه العشر آكد وآكد، فكان ﷺ يتحرَّاها في هذه اللَّيالي ويحث على تحريها، ومن أجل ذلك كان يعتكف العشر الأواخر، فيجلس في المسجد ليله ونهاره يخلو بربِّه، يعبد الله عزَّ وجلَّ يتلو كتابه يصلِّي يذكر الله عزَّ وجلَّ في اعتكافه تحريًا لهذه اللَّيلة الَّتي، قال الله جلَّ وعلا منوهًا بشأنها أنَّه أنزل فيها القرآن:﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[القدر: ٣ - ٥]﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان: ٣، ٤].

فهي ليلة عظيمة من وفق لها ووافقها وقامها إيمانًا واحتسابًا كتب الله له عمل ألف شهر؛ بل هي خير من ألف شهر تضاف إلى حسنات المسلم، وهي خير كثيرٌ لمن وفقه الله، فهذه ليلة عظيمة حريٌّ بنا أن نتحراها بالجدِّ والاجتهاد، وأن نعمل فيها الأعمال الصَّالحة من قيام ودعاء وذكر لله سبحانه وتعالى؛ لننال هذا الثواب العظيم الَّذي يعادل العمل في ألف شهر.

وألف الشَّهر ثلاثة وثمانون عامًا وزيادة أشهر، وهي عمر طويل إذا أفناه المسلم في العبادة كلّه، فإن من يوفق لقيام هذه اللَّيلة فعمله خير من ألف شهر فيا لها من ليلة مباركة، كما سمَّاها الله ويا لها من ليلة ذات قدر عند الله سبحانه وتعالى، فلا تفت علينا بالغفلة والكسل والخمول لنتحراها في هذه العشر نقوم مع المسلمين ونقوم مع الإمام حتَّى ينصرف، قال ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» وهذا زيادة على قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، وقال ﷺ: «مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ».

كان السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين، ومن جاء بعدهم يحيون اللَّيالي في المساجد يصلون جماعة خلف الإمام حتَّى ينصرف، فينبغي للأئمة وفقهم الله أن يهتموا بذلك، وأن يقوموا بالمسلمين في أوَّل اللَّيل بصلاة التَّراويح، وفي آخر اللَّيل بصلاة التَّهجد على وفق ما كان يفعله المسلمون من عهد الصَّحابة إلى عهدنا هذا، وأن لا يفرطوا في هذه الأيام، ولا يحرموا جماعة المسجد من هذه الفضائل بسبب كسلهم، أو بسبب ما يروج من القيل والقال من أدعياء العلم الَّذي يخبطون على النَّاس الأقوال في صلاة التَّراويح وصلاة التَّهجد، ويقولون: ليس هناك إلَّا صلاة واحدة ليس هناك تراويح على حدة، وليس هناك تهجد على حدة، إنَّما عندهم صلاة واحدة ينقرونها ويخففونها وينصرفون، ويحرمون من ورائهم ممن تحملوا أمانتهم، فعلى أئمة المساجد أن يتقوا الله، وأن يتركوا الجدال، وأن يسروا على طريقة السَّلف الصَّالح من إحياء هذه اللَّيالي بالتَّراويح والتَّهجد لينالوا هم، ومن ورائهم هذا الثَّواب العظيم، ومن لا يريد هذا، فإنَّه يتخلى عن المسجد لغيره لا يتحمل المسجد ثُمَّ يضيِّعه، ويحرم المسلمين من هذه اللَّيالي.

فاتقوا الله، عباد الله، وبادوا الأوقات قبل فواتها وحاسبوا أنفسكم على هفواتها: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[البقرة: ١٨٩].

أقول قولي هذا: وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كلِّ ذنب فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

أيُّها النَّاس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّ هذا الشَّهر إنَّما هو فرصة تمرُّ بكم لأجل أن توقظ قلوبكم، وتحيي فيها صفة الخير، وتقمع ما فيها من صفة الشَّر، فهذا الشَّهر مدرب لكم ومروض لكم على العبادات، فداوموا على ما أعدتم هذا الشَّهر من الخيرات، وفعل الطَّاعات في بقيَّة سنتكم، فإنَّ عمل المسلم لا ينقطع إلَّا بالموت، لا ينقطع بانتهاء شهر رمضان، أو بانتهاء أيام من الأيام، وإنَّما هو متواصل، قال الله سبحانه وتعالى لنبيِّه محمَّد ﷺ:﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[الحجر: ٩٩].

قال ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»[٢] فدل على أن عمل الإنسان لا ينقطع إلَّا بالموت سواء كان عملًا صالحًا أو كان عملًا سيئًا، فما

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم برقم (١٦٣١) وأبو داود برقم (٢٨٨٢) وغيرهم.

دام الإنسان في هذه الحياة، فإنَّه سيعمل إمَّا بالخير، وإمَّا بالشَّر، فعلى المسلم أن يكون عمله متواصلًا في الخير، وأن يتوب إلى الله من أعماله الشَّر، فإنَّ بعض النَّاس أو كثير من النَّاس تمنيه نفسه أنَّه إذا خرج هذا الشَّهر وانتهى، أنَّه سيعود إلى الإهمال والغفلة والكسل والخمول، أو يعود إلى المعاصي والسَّيئات أولئك لا يقبل منهم شهر رمضان إذا علم الله من قلوبهم، أنَّهم يعدونها إذا انتهى رمضان أن يعود إلى ما كانوا عليه من الإهمال والكسل والخمول، فإنَّ الله لا يقبل منهم هذا الشَّهر: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ومن كان يعد نفسه بعد رمضان أن يعود إلى المعاصي والإهمال فليس من المتقين.

فاتقوا الله، عبادَ الله، واعلموا أنَّ خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هديٍّ محمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها،وكلّ بدعة ضلالة،وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النَّار.

ثُمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بأمر عظيم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك نبيِّنا محمَّد، وارضَ اللَّهُمَّ عن خُلفائِه الرَّاشدين، الأئمة المهديين، أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثْمَانَ، وعليٍّ، وعَن الصَّحابة أجمعين، وعن التَّابِعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذل الشِّرك والمشركين، ودمر أعداء الدِّين،

واجعل هذا البلدَ آمنًا مطمئنًا، وسائر بلاد المسلمين، يا ربّ العالمين.

اللَّهُمَّ بارك لنا في شهر رمضان، اللَّهُمَّ أرزقنا فيه القوة، والاحتساب، العمل الصَّالح، اللَّهُمَّ أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ ارزقنا من فضائله ومغانمه ما يسرته لنا، اللَّهُمَّ أعنَّا على صيامه وقيامه وحفظ أيامه من الخلل والضياع: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٢].

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا واجعلهم هداة مهدين غير ضالين ولا مضلين، اللَّهُمَّ أصلح بطانتهم، وأبعد عنهم بطانة السُّوء والمفسدين يا رب العالمين.

عبادَ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل:٩٠، ٩١] فاذكروا اللهَ يذكُرْكم، واشكُروه على نعمِه يزِدْكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥].



